

القيم القرآنية الحاكمة للتربية وأثرها في تعزيز الأمن التعليمي *Quranic values related to education and their impact on strengthening educational security*

د/ حميد مسرار

كلية الآداب، وجدة (المغرب)

hamidmesrar@hotmail.fr

تاريخ النشر: 2021/07/15

تاريخ القبول: 2021/04/01

تاريخ الاستلام: 2020/08/14



ملخص: لا خلاف في أهمية التربية في تكوين الإنسان ورسم معالم هويته الحضارية، فهي أهم عملية يخضع لها الإنسان في حياته وعليها يتوقف نموه، وهي سبب من أسباب رقي الأمم، لذلك فهي تنبثق من فلسفة محكمة تبين للمربين معالم الطريق. وعليه فالقرآن الكريم هو كتاب تربية وتوجيه، كما هو كتاب عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاق، بل هو دستور هذه الأمة ترجع إليه في كل أحوالها، فهو للمسلم كنز عظيم من كنوز الثقافة الإنسانية ولاسيما الروحية منها، وهو أول ما يكون كتاب تربية وتهذيب على وجه العموم، وكتاب تربية اجتماعية وأخلاقية على وجه الخصوص، ونظرا لأن فاعلية واستقامة البرامج التربوية وتأثيرها في سلوك الناشئين يعتمد اعتماداً كبيراً على القيم، فإن الرجوع إلى القرآن باعتباره مصدرا تربويا لا يعتوره نقص سيمكننا من منهاج متكامل إن طبقناه أعطانا الأفضل والأمثل والأكمل، ونظرا لأهمية التربية القرآنية في علاج كثير من الإشكالات القيمة التي أصبحت تعاني منها المجتمعات العربية والإسلامية فالسؤال العالق: ما القيم القرآنية الحاكمة للتربية؟ وما دورها في تعزيز مفاهيم الأمن التعليمي؟ وقد خلص البحث إلى النتائج الآتية: القيم الحاكمة يمكن إجمالها في أربع وهي: القيم الإيمانية والقيم الإنسانية والقيم التربوية والتربية العمرانية. وهي قيم تفضي إلى تحقيق الأمن التعليمي، فهي أصل لتحقيق أمن المعلم والمتعلم وهي أساس في المنهاج التربوي وهي مرتكز لتحقيق أمن الفضاء المدرسي. إن القيم القرآنية الحاكمة قد تكون علجا لكثير من الاختلالات والاعتلالات التي ابتليت بها المدرسة عموما من مظاهر العنف وعدم الاحترام وتحطيم وتكسير كل ما يمت بصلة للمدرسة، فما على المسؤولين وأرباب القرار إلا الانتباه إليها وتوعية المجتمع بها.

الكلمات المفتاحية: القيم، القرآن، الأمن، التعليم، الأمن التعليمي.

Abstract: As for yet, there is no dispute regarding the importance of education in the formation of the human being and the drawing of the features of his civilized identity, for it is the most important process that a person undergoes in his life and upon which his growth stops, and it is one of the reasons for the advancement of nations, so it emerges from A tight philosophy that shows educators the way. Accordingly, the Noble Qur'an is a book of education and guidance as it is a book of doctrine, worship, law and morals. Rather, it is the constitution of this nation that it

* المؤلف المراسل.

refers to in all its conditions, for it is for the Muslim a great treasure of the treasures of human culture, especially the spiritual ones, and it is the first to be a book of education and discipline in general. It is a book of social and moral education in particular, and given that the effectiveness and integrity of educational programs and their impact on the behavior of young people depends greatly on values, so referring to the Qur'an as an educational source without any deficiency will enable us to have an integrated curriculum if we apply it gives us the best, optimal and most complete, and given the importance of Qur'anic education in Treating many of the value problems that Arab and Islamic societies have become suffering from. The unresolved question is: What are the Qur'anic values that govern education, and what is their role in promoting concepts of educational security? The research concluded the following results: The governing values can be summarized in four, namely: faith values, human values, educational values, and urban education. They are values conducive to achieving educational security. They are the basis for achieving teacher and learner security. They are the basis of the educational curriculum and are the basis for achieving school space security.

The ruling Quranic values may be a remedy for many of the imbalances and deficiencies that afflict the school in general, including manifestations of violence and disrespect, and the destruction and breakage of everything related to the school.

Keywords: Values; Quran; security; education; educational security.

1. مقدمة

لا خلاف في أهمية التربية في تكوين الإنسان ورسم معالم هويته الحضارية، فهي أهم عملية يخضع لها الإنسان في حياته وعليها يتوقف نموه، وهي سبب من أسباب رقي الأمم. لذلك فهي تنبثق من فلسفة محكمة تبين للمربين معالم الطريق. وعليه فالقرآن الكريم هو كتاب تربية وتوجيه كما هو كتاب عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاق، فهو للمسلم كنز عظيم من كنوز الثقافة الإنسانية ولاسيما الروحية منها، وهو أول ما يكون كتاب تربية وتهذيب على وجه العموم، وكتاب تربية اجتماعية وأخلاقية على وجه الخصوص. ونظرا لأن فاعلية واستقامة البرامج التربوية وتأثيرها في سلوك الناشئين يعتمد اعتماداً كبيراً على القيم، فإن الرجوع إلى القرآن باعتباره مصدرا تربويا لا يعتوره نقص سيمكننا من منهاج متكامل إن طبقناه أعطانا الأفضل والأمثل والأكمل.

2.1. إشكالية البحث: نظرا لأهمية التربية القرآنية في علاج كثير من الإشكالات القيمية التي أصبحت تعاني منها المجتمعات العربية والإسلامية، فالسؤال الذي نود الإجابة عنه هو: ما دور القيم القرآنية الحاكمة للتربية في تعزيز مفاهيم الأمن التعليمي؟

2.1. الدراسات السابقة:

1.2.1. "خطوات في الأمن التربوي في ضوء القرآن والسنة" لمرزوق بن هياس آل مرزوق، وهو كتاب دعوي يتحدث فيه صاحبه عن خطوات تحقيق الأمن التربوي من مثل الإيمان بالله ورسوله، الحماية من ثورة الغريزة، بناء الأسرة السوية، العلاقة بين الزوجين وغير ذلك من الخطوات التي قد تفيد بناء الأسرة

أكثر منه بناء الأمن داخل مؤسسة تعليمية.

1. 2. 2. "دور التربية في التغير الاجتماعي" لأنوار محمود علي، بحث منشور بمجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد السادس، العدد الثاني عشر، 1433هـ - 2012م. حيث أكد البحث على أن عملية تغيير المجتمع لا يمكن أن تفعل فعلها إلا بوصفها جزءاً من نظام التربية بتوفير الإمكانيات المتعددة على الصعيدين الفردي والجماعي، وهذا يتطلب وجود بنية نفسية وعقلية تقع في قلب العمل التربوي أو تحتل مكان الصدارة فيه.

ولذلك فالحديث عن التربية المجتمعية هو حديث كذلك عن أدوار المدرسة الذي يعد الأمن التعليمي فيها أهم مقوم من مقومات نجاحها.

ورغم أهمية هذه البحوث التي تحدثت عن الأمن بأنواعه فالبحث يريد الكشف عن دور للقيم القرآنية الحاكمة في التعليمي بما جاء من قيم حاكمة قرآنية للتربية.

1. 3. **أهداف البحث:** إن الوقوف عند القيم القرآنية الحاكمة للتربية وعلاقتها بالأمن التعليمي هدفه:

- إظهار أن القرآن الكريم يحدد أهداف التربية وغايتها.
- بيان أن القرآن الكريم يضع المبادئ والمقومات التي تعتمد عليها التربية.
- الإصلاح الشامل للفرد والمجتمع ينطلق من التربية القرآنية.
- بيان دور القيم القرآنية في تعزيز مفاهيم الأمن التعليمي.
- بيان أن الأمن التعليمي ينطلق من وضع مناهج تقوم على قيم قرآنية حاكمة.

1. 4. **منهج البحث:** اعتمد الباحث لإنجاز الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، نظراً لكون هذا المنهج البحثي يتناسب وطبيعة الإشكالية التي نود الإجابة عنها.

1. 5. **خطة البحث:** ولمعالجة هذا الموضوع قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دراسة المفاهيم.

المبحث الثاني: القيم القرآنية الحاكمة للتربية: أسس ومرتكزات.

المبحث الثالث: القيم القرآنية الحاكمة للتربية ودورها في تعزيز الأمن التعليمي.

2. المبحث الأول: دراسة المفاهيم

1. 2. **القيم القرآنية الحاكمة:** هي المبادئ الدستورية القادرة على توليد المواد الدستورية والقواعد القانونية، لتكون منطلقاً لبناء الأحكام على ضوء المستجدات التي يعرفها الواقع، وتعد مقياساً لسائر أنواع الفعل الإنساني ولجميع الآثار المترتبة عليه في الدنيا والآخرة، ولها حضور في سائر المفاهيم الأخرى،

تزودها بالمعنى وتحدد وجهتها وقبلتها، وتسدد كثيرًا من آليات اشتغالها.

وقد حددها الأستاذ طه جابر العلواني في ثلاثة وهي التوحيد والتزكية وال عمران ، واعتبرها كليات قطعية تنحصر مصادرها في المصدر الأوحى في كليته وإطلاقه وقطعيته وكونيته ألا وهو القرآن الكريم¹.

ونوه إلى أن هذه القيم القرآنية لا زالت في حاجة إلى استكمال البحث وتعميق النظر كي تستوعب جميع الأحكام الشرعية بل تكون أساسا لكل اجتهاد قد تكون الأمة في حاجة إليه.

2. 2. التوبة: ربا: ربا الشيء يربو، ربوا ورباء، زاد ونما وأربيته، نميته، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَرَبِّي الصَّدَقَاتِ﴾ ومنه أخذ الربا الحرام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّزُبُوفِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزُبُوْا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال أبو إسحاق: يعني به دفع الإنسان الشيء ليعرض ما هو أكثر منه، وذلك في أكثر التفسير ليس بحرام ولكن لا ثواب لمن زاد على ما أخذ قال: والربا ربوان: فالحرام كل قرض يؤخذ به أكثر منه أو تجر به منفعة بحرام...

قال الأصمعي: ربوت في بني فلان نشأت فيهم، وربيت فلانا أربيته وتربيته وربيته بمعنى واحد الجوهري: ربيته تربية وتربيته أي عدوته، قال: هذا لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه...².

واصطلاحاً: عرفها أحمد عمر في كتابه فلسفة التربية في القرآن بأنها: "تنمية الوظائف الجسمية، والعقلية، والخلقية، والجمالية، والتروحية، والدينية، والاجتماعية لدى الإنسان؛ كي تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف، وأنها علم يبحث في أصول هذه التنمية ومناهجها، وعواملها الأساسية وأهدافها."³

وعليه فالتربية في القرآن الكريم هي التي تأخذ بلب المرء فتجعله يرتقي من حال إلى أحسن، في العمل والمعتقد ونحوهما. وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني: التربية إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام.⁴

3. 2. الأمن التعليمي: الأمن في اللغة يعني: "طمأنينة النفس وزوال الخوف، وأمن البلد يشير إلى اطمئنان أهله، وأمن الشر يعني السلامة منه" - وهو مقابل للفرع والخوف والروع ويكون في عالم الأفراد والجماعة وفي الحواضر وال عمران وفي السبل والطرق وفي العلاقات والمعاملات وفي الدنيا والآخرة.⁵

أ- وأدلة ذلك في القرآن والسنة كثيرة، فقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾⁶.

ب- وقال عز وجل: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾⁷.

ت- وقال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ⁸ فالكفر بنعمة الله هو عدم استغلالها بشكل سليم وهو معنى التخلف اقتصادياً.

أما في السنة فقد اعتبر الرسول الكريم الأمن حاجة بشرية حيث قال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا».⁹

2.4. التعليم: التعليم في اللغة هو من الفعل عَلَّمَ، وَعَلَّمَهُ الشَّيْءَ تَعْلِيمًا فَتَعَلَّمَ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾¹⁰.

أما في الاصطلاح التربوي فهو تبليغ مجموعة منظمة من الأهداف والمعارف والمهارات أو الوسائل واتخاذ قرارات تسهل تعلم فرد ما داخل وضعية ييداغوجية معينة¹¹ وهو عملية مركبة من عناصر متعددة غير قابلة للتجزئ وهي: المعلم والمتعلم والمحتوى والفضاء، حيث إن كل عنصر من هذه العناصر يؤدي دوراً لا يمكن للعناصر الأخرى أن تؤديه أو أن تقوم به أو أن تعوضه، لذلك فالمقصود بالأمن التعليمي هو الطمأنينة التي تنفي الخوف والفرع عن العملية التعليمية بجميع مكوناتها من التلميذ والمعلم والمنهج والفضاء المدرسي.

وعليه فالسؤال العالق: كيف للقيم القرآنية الحاكمة للتربية أن تحقق الأمن التعليمي؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد من معرفة أثر القيم القرآنية في كل مكون من مكونات العملية التعليمية لتكون الإجابة عن الأسئلة الآتية هي صلب البحث وأساسه وهي:

ما أثر القيم الحاكمة للتربية في تحقيق أمن المعلم والمتعلم؟

ما أثر القيم الحاكمة للتربية في صياغة منهاج تربوي مفعم بالأمن؟

ما دور القيم الحاكمة في تحقيق أمن الفضاء المدرسي؟

3. المبحث الثاني: القيم القرآنية الحاكمة للتربية "أسس ومرتكزات"

تتأسس القيم القرآنية الحاكمة على أسس أربعة وهي القيم الإيمانية والقيم الإنسانية والقيم الأخلاقية والقيم العمرانية وهذا ما سنحاول تفصيله في هذا المبحث :

3.1. القيم الإيمانية:

يعتبر التوحيد أول مقاصد الشارع، وأصل القيم القرآنية الحاكمة، فهو يوضح حدود وأبعاد الدور الإنساني في هذا الوجود. وفي الوقت نفسه يحقق قدرة كبيرة على صياغة المفاهيم الضرورية لبناء فاعلية الإنسان.

إن مقتضى الإقرار بالتوحيد ينطلق من الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - ربا وحاكما ومصدرا للتشريع، ليكون موجّه الأمة نحو البناء؛ والروح التي ترتقي بالإنسان لأداء دوره الحضاري، وعليه فالإيمان بالله تعالى إيمانا حقا يجعل شهود القيم حاضرا في مختلف الآيات، فيكون الفعل الإنساني فعلا منسجما مع الفطرة وسنن الكون فيحقق الإنسان ذاته السوية في أبعادها الفردية والجماعية.

إن القيم الإيمانية تجعل مهمة الإنسان في هذا الكون مهمة غائية، فينطلق منها للقيام بدور الاستخلاف والتعمير، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾¹² وعليه فالتعمير في المنظور الإسلامي لا يمكن أن يحقق مقاصده إلا من منطلق التوحيد.

وتأسيسا على ما سبق، فالإيمان بالله هو أعظم مقوم في التربية، يتجلى ذلك في آثاره النفسية والخلقية والاجتماعية، العائدة على الفرد والمجتمع، ذلك بأن الإيمان يجعل الفرد يشعر بالاطمئنان النفسي لأن حياته وورقه بيد الله وبالقوة والعزة والكرامة، لأنه يستمد قوته من الله، ويمكنه من تقويم سلوكه وتهذيب نفسه، لأن الله مطلع على عمله عليم بما يجول في نفسه، ولا شك أن كل ذلك له آثاره المجتمعية .

3.2. القيم الإنسانية:

كرم الإسلام الإنسان وجعله خليفة في الأرض بما أودعه فيه من خصائص تميزه عن باقي المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾¹³.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره على أنه فضله بالعقل الذي به استصلاح شؤونه ودفع الأضرار عنه وبأنواع المعارف والعلوم¹⁴.

لقد اعتنى الخطاب القرآني بالإنسان عناية خاصة، يقول الدكتور القرضاوي: "إن كل دارس للإسلام في كتابه وسنة رسوله يتبين له بجلاء أنه وجه عناية بالغة إلى الجانب الإنساني، وأعطاه مساحة رحبة من رقعة تعاليمه وتوجيهاته وتشريعاته."¹⁵

وبالرغم من هذا الاهتمام، فقد شق على الباحثين تعريف الإنسانية، يقول الأستاذ عبود: "ولا تعريف للإنسانية سوى أنها الإنسانية، فالإنسانية غنية عن كل تعريف وأي تعريف لها يؤدي إلى غموض أكثر مما يؤدي إلى إلقاء الضوء عليها."¹⁶

ومهما يكن من صعوبة التعريف فقد حاول بعض الباحثين الإحاطة بالمصطلح، فعرفها الفيروز أبادي "بأنها خلاف البهيمية وجملة الصفات التي تميز الإنسان أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه

الصفات¹⁷ والدكتور عبود "بأنها مجموعة من الملكات والمواهب الفطرية التي تدرس منفصلة إحداها عن الأخرى بغرض الدراسة وحدها ولكنها بطبيعتها متداخلة ومتكاملة ومتفاعلة ليصدر عنها مجتمعة ذلك السلوك الكلي المعقد والمادي والروحي والنفسي والاجتماعي الذي به تعرف الشخصية في خارج إطارها المادي"¹⁸. والذي نخلص إليه بعد الجمع بين التعريفين أن الإنسانية هي مجموعة من المواهب والملكات التي تميز الإنسان عن غيره، مواهب تدل على طبيعته وحقيقته وصفته ودوره الذي أنيط به.

وعليه فقد كرم القرآن الإنسان حينما نظر إليه نظرة تقوم على فكرة الاستخلاف، وكذلك حينما منحه السمع والبصر والعقل كأدوات للعلم، ومنحه حرية الإرادة كأداة للعمل، لذلك كان الإنسان في المنظور القرآني هو الذي تتكامل عنده علوم الشريعة وعلوم الطبيعة، ويؤمن بالتوافق بين العلم والدين، بل هو الذي ينتصر لقيم العدل والتسامح، ويتعامل مع الآخرين تعاملًا يقوم على التسليم العقلي والنفسي بوجود الآخر والاستعداد للتعايش معه، واحترام حقوقه وحرياته وأن الاختلاف إنما هو رحمة من الخالق بعباده ومظهر ثراء حضاري.

لذلك فالإنسان الايجابي هو ذلك الإنسان المؤهل القادر على خدمة مجتمعه، المتمتع بالمهارات الحياتية والتعليمية والتدريبية الضرورية، ومهارات التعاون والتواصل والتفاعل الإيجابي مع الوسط الاجتماعي، الجامع بين التفكير النقدي والتحليلي الذي يساعد في التعرف على المشكلات ووضع الحلول المناسبة لها.

إن مظاهر الإنسانية في التربية القرآنية عديدة نذكر من بينها ما يلي :

(أ). الاعتراف بالفطرة: خلق الله تعالى الإنسان مزودا بفطرة هي مجمع الملكات و المواهب والمشاعر والأحاسيس، ففطرة الإنسان هي البنية التي خلق عليها الإنسان في بعديها المادي والروحي.¹⁹

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: الفطرة الخلقة أي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، ففطرة الإنسان هي ما فطر أي خلق عليه الإنسان ظاهرا وباطنا أي جسدا وعقلا،²⁰ فإذا صرفت إلى الخير كان للفرد ولمجتمعه نصيب منها، وإذا صرفت اتجاه الشر كان له وللمجتمع كفل منها.

إن التربية تحتاج إلى الاعتراف بالفطرة وتوجيهها والتعامل وفقها لتكون مستجيبة لحاجات الإنسان الجسمية والعقلية والنفسية فيؤدي دوره على أكمل وجه .

(ب). حرية الاختيار: اعتبر الشرع الحرية مقصدا من مقاصده، وحذر من الاعتداء عليها لما في ذلك من استنفاص لإنسانية الإنسان وهدر لما يجب أن يقوم به من مهمة الاستخلاف والتعمير. وتأسيسا على ذلك جاء الخطاب القرآني بأحكام كثيرة تهدف إلى حفظ حرية الإنسان، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "إن استواء أفراد الأمة في تصرفهم في أنفسهم مقصد أصلي من مقاصد الشريعة وذلك هو المراد

بالحرية".²¹

وإذ جعل الخطاب القرآني الحرية مقصداً من مقاصده، فقد جعلها أصلاً في التربية وذلك من خلال تحرير الإنسان داخلياً من عبوديات الشهوة وتحريره خارجياً من عبوديات الأصنام، سواء أكان الصنم أمة أم فئة أم فرداً، بل وتحريره في مجال السلوك العملي حيث وضع الكون بأسره تحت تصرفه وحرّيته، حرّية محدودة بالحدود التي تجعلها تتفق مع تحرّره الداخلي من عبودية الشهوة وتحرّره الخارجي من عبودية الأصنام.

إن التربية على قيمة حرية الاختيار من المداخل التربوية التي تجعل الإنسان فاعلاً في الكون محققاً أسمى معاني الإنسانية فيترك بصمة العمران التي أمر به الشارع الحكيم .
(ج). المشاركة في التعمير وترك بصمة الاستخلاف: من أسس تكريم الإنسان و ضمان إنسانيته، فهم الوجود وترك بصمة العمران، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس عبثاً دون هدف بل كلفهم بمهمة التعمير الذي تتطلب التعاون والتكافل والاحترام والتقدير، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾²² لذلك كان التعمير بمختلف مستوياته ضامناً لإنسانية الإنسان لما يضمنه له من تحقيق حمل الأمانة التي كلف بها قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾²³.

إن غرس مفاهيم العمران يشكل لبنة من لبنات التربية القرآنية، ليمنحه شحنة قوية لأداء مهمة الاستخلاف على أحسن وجه وهذا ما سنعرضه في القيمة الرابعة من القيم الحاكمة .

3.3. القيم الخلقية:

تعد القيم الخلقية حجر الزاوية في الخطاب القرآني، فالمثل والكمالات الخلقية لها المقام الأول في التشريع وهذا ملاحظ في كثير من الأحكام الشرعية، حيث نجد مزاجين، الخلق والتشريع كما هو الشأن بالنسبة للعدل والإحسان والاقتضاء والتسامح²⁴

وعليه فالأحكام الشرعية لها جانبان، جانب أصولي وجانب أخلاقي، وهذا الوجه الأخلاقي كما أشار إلى ذلك الدكتور طه عبد الرحمن ينحصر في أوصاف ثلاثة:

أ-مراقبة المعنوية عن طريق الوازع النفسي للإنسان.

ب-ضبط السلوك في باطن أعماله الشيء الذي يعود بالصالح أو الفساد عليه وعلى غيره.

ج-توسل الوجه الأخلاقي بالتعليل الغائي في بيان أحكامه وترتب بعضها على بعض.

إن اهتمام الشارع بالباعث النفسي والمبادئ الخلقية والمثل العليا، هدفه تطهير الباعث كي لا يحرك الإرادة إلى تحقيق غايات غير مشروعة تناقض مقاصد الشارع.

لذلك ارتبطت الأحكام الشرعية ببعدها المقاصدي ارتباطاً وثيقاً، إذ إن قبول الأعمال وترتب الثواب عليها يدور مع القصد وجوداً وعدمًا، فكلما أحسن العبد مقصده وصح باعته كان سبباً لقبول عمله ومضاعفة أجره، وكلما ساء قصده كان سبباً في إحباط عمله، قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته لله ورسوله فهجرته لله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».²⁵ والإمام الشاطبي في حديثه عن مقاصد المكلف في التكليف بين البعد الأخلاقي في مقاصد المكلف مشيراً إلى أهميتها في التصرفات والسلوكيات حيث يقول: "الأعمال بالنيات والمقاصد المعتمدة في التصرفات من العبادات والمعاملات".²⁶

ويظهر البعد الأخلاقي جلياً في قصد المكلف من خلال موافقة قصد المكلف لقصد الشارع في التشريع: فكل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم يشرع له فعمله باطل.²⁷

هذه القاعدة من شأنها أن تدفع المكلف وتوجهه نحو السلوك الأخلاقي السليم لعلمه أن التكاليف إنما وضعت في أساسها تحقيقاً لمصلحة المكلف الخاصة والعامة دنياً وآخرة، وعليه فالمتدبر للقرآن الكريم يتأكد له أهمية البعد الأخلاقي، وذلك من خلال دعوته إلى تقوى الله، والصدق، والعدل، والتسامح، والصبر، والصفح، وكظم الغيظ، والتواضع، والرحمة، والمحبة، والبذل، والتضحية، والجهد وكذلك من خلال شجب الظلم، والطغيان، والكذب، والنفاق، والعدوان، والبخل، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، والتجسس، يقول ابن القيم: "الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"²⁸ إن التربية المبتورة عن الأخلاق هو تكريس لانتشار الفساد والجريمة بشكل أوسع وبهذا فلا صلاح للعالم إلا بما دعا إليه القرآن الكريم من التمسك بالأخلاق الحميدة. ولا نجاح للتربية حتى تقوم على أسس العقيدة والعبادة والأخلاق.²⁹

3.4. قيم العمران:

ورد في القرآن الكريم ما يفيد الإعمار والتعمير، بألفاظ وعبارات متعددة مثل: ﴿اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، و﴿عَمَرُوهَا﴾ أي الأرض، ﴿عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، ﴿أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، فهذه العبارات وغيرها كلها تفيد تعمير الإنسان لمنطقة معينة بقصد العيش وعبادة الله - عز وجل -، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرْ لَهُ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾.^{30,31}

إن الإنسان في إطار رؤية القرآن الكلية لا يسعى في قيامه بفعل العمران إلى إشباع إرادته الخلاقة، بل إلى الاستجابة لإرادة الله تعالى في الكون، والقيام بالربط بين الموجودات وتوجيه العلاقة بينها باتجاه تلبية مراد الله تعالى، وتأسيسا على ذلك تصير عملية إعادة البناء عبادة لله وطاعة له، ومنزلا لتحقيق تكامل هذا الإنسان الخليفة في كافة الأبعاد الروحية، والعقلية، والقلبية، وليست عملية غزو للطبيعة، ولا قهر لها.³²

إن عملية العمران هي عملية شاملة تشمل الإنسان الفرد كما تشمل المجتمع كله وهذا ما يشير إليه الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين حيث يقول: فَوَجَبَ سَتْرُ أَحْوَالِهَا، وَالْكَشْفُ عَنْ جِهَةِ انْتِظَامِهَا وَاخْتِلَالِهَا، لِتَعْلَمَ أَسْبَابَ صَلَاحِهَا وَفَسَادِهَا، وَمَوَادَّ عُمرَانِهَا وَخَرَابِهَا، لِتَنْتَفِي عَنْ أَهْلِهَا شُبُهَ الْخَيْرِ، وَتَنْجَلِي لَهُمْ أَسْبَابَ الْخَيْرِ، فَيَقْصِدُوا الْأُمُورَ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَيَعْتَمِدُوا صَلَاحَ قَوَاعِدِهَا وَأَسْبَابِهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ صَلَاحَ الدُّنْيَا مُعْتَبَرٌ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَوَّلُهُمَا مَا يَنْتَظِمُ بِهِ أُمُورُ جُمْلَتِهَا. وَالثَّانِي: مَا يَصْلُحُ بِهِ حَالُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهَا. فَهُمَا شَيْئَانِ لَا صَلَاحَ لِأَحَدِهِمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ صَلَحَتْ حَالُهُ مَعَ فَسَادِ الدُّنْيَا وَاخْتِلَالِ أُمُورِهَا لَنْ يَغْدَمَ أَنْ يَتَعَدَّى إِلَيْهِ فَسَادُهَا، وَيَقْدَحَ فِيهِ اخْتِلَالُهَا؛ لِأَنَّ مِنْهَا مَا يَسْتَمِدُّ، وَلَهَا يَسْتَعِدُّ. وَمَنْ فَسَدَتْ حَالُهُ مَعَ صَلَاحِ الدُّنْيَا وَانْتِظَامِ أُمُورِهَا لَمْ يَجِدْ لِصَلَاحِهَا لَذَّةً، وَلَا لِاسْتِقَامَتِهَا أَثْرًا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ دُنْيَا نَفْسِهِ، فَلَيْسَ يَرَى الصَّلَاحَ إِلَّا إِذَا صَلَحَتْ لَهُ وَلَا يَجِدُ الْفَسَادَ إِلَّا إِذَا فَسَدَتْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ نَفْسَهُ أَخْصَصَ وَحَالَهُ أَمْسُ.³³

فصلاح الفرد وقدرته على التعمير هو صلاح للمجتمع، وصلاح المجتمع هو صلاح للفرد كذلك، لذلك فقد اعتبر الماوردي أن ما تصلح به الدنيا قواعد أساسية هي: دين متبع وسلطان قاهر، وعدل شامل وأمن عام وخصب دائم، وأمل فسيح، وأن ما يصلح حال الإنسان ثلاثة أشياء: "نفس مطيعة وألفة جامعة ومادة كافية"³⁴

إن الحديث عن صلاح الفرد وقدرته على التعمير التي أشار إليها الماوردي هو أساس التربية التي تأخذ بلبّ المرء فتجعله يرتقي من حال إلى أحسن، في العمل والمعتقد ونحوهما فيكون مساهما في توجيه الحضارة الإنسانية وصياغة أجوبة سديدة لمختلف ما يموج في الواقع من صراع فكري بين تيارات مختلفة تريد أن تبخس من التربية القرآنية.

4. المبحث الثالث: القيم القرآنية الحاكمة للتربية ودورها في تعزيز الأمن التعليمي

إن التربية القرآنية هي تربية شاملة للفرد والمجتمع فهي تنظر إلى البناء النفسي والجسمي والعقلي للفرد، وتنظر إلى أدواره المجتمعية كذلك، لذا فاستحضارها في العملية التعليمية سيمكننا من علاج كثير من الإشكالات القيمية، بل من الإجابة عن الأسئلة الأربعة التي عرضناها من قبل، والمتمثلة في أثرها في العملية التعليمية بجميع مكوناتها، فالقيم الإيمانية تجعل من الإيمان بالله أعظم مقوم في التربية، كما أن

القيم الإنسانية تركز مفهوم التكريم الذي خص به الإنسان من خلال قيم الاستخلاف والعلم والعمل، أما القيم التربوية فهي الثمرة المباشرة للتربية القرآنية. والتي تظهر في تقوى الله، والصدق، والعدل، والتسامح، والصبر، والصفح، وكظم الغيظ، والتواضع، والرحمة، والمحبة، والبذل، والتضحية، والجهد وكذلك من خلال شجب الظلم، والطغيان، والكذب، والنفاق، والعدوان، والبخل، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور.

ولا شك أن تكريس القيم الإيمانية والإنسانية والتربوية يؤول إلى قيم عمرانية ما أحوج المجتمع إليها في ظل صراع فكري يريد أن يبخس من هذه التربية.

لذلك فالسؤال الذي نود الإجابة عنه هو: ما أثر هذه القيم في تحقيق الأمن التعليمي؟

4. 1. القيم الإيمانية ودورها في تعزيز الأمن التعليمي :

إن الحديث عن دور القيم الإيمانية في تعزيز الأمن التعليمي يستلزم الكشف عن أثر هذه القيم في كل مكون من مكونات العملية التعليمية، وعليه لابد من بيان أثر القيم الإيمانية في تعزيز الأمن لدى المتعلم والمعلم والفضاء المدرسي والمنهاج الدراسي.

4. 1. 1. القيم الإيمانية وأثرها في تعزيز أمن المعلم والمتعلم.

ترتبط عملية التعليم ارتباطاً وثيقاً بالمدرس إذ هو أساس هذه العملية وقطب الرحى فيها، وعليه فقد يشترط فيه مجموعة من الشروط تؤهله لأداء وظيفته على الوجه الأكمل، وهي شروط أغلبها مرتبط بالمهنة ومدى تمكنه من التواصل بمحيط المدرسة الداخلي والخارجي، إلا أنه وبالرغم من ذلك فلا زال كثير من الأساتذة يعانون من فزع رهيب أثناء قيامهم بمهمتهم وقد يكونون سبياً في عدم خلق الأمن داخل فصولهم من خلال تعنيفهم لتلاميذهم.

لذلك فالقيم الإيمانية تجعل مهنة التدريس مهنة رسالية يبتغي بها المعلم وجه الله تعالى، ولا شك أن ذلك قد يغير حتماً علاقات التلاميذ به، فكثير من أسباب العنف وعدم الأمن قد تنجم عن التمييز بين التلاميذ وعدم احترامهم بل وعدم الاشتغال معهم كما يجب.

لذلك أعتقد أن البعد الإيماني عند المعلم قد تجعله يشتغل في أمن وأمان وغيابه سبيل لسقوطه في أشكال اللا أمن والخوف.

أما التلميذ فقد يعاني من عوائق متعددة قد تهوي به إلى مزالق الانحراف والاضطراب النفسي المفضي إلى سلوكات مرضية، وهذه العوائق قد تكون سوسولوجية أو سيكولوجية أو حركية أو تربوية، فالاضطرابات النفسية التي يعيشها المتعلم والتي قد تكون ناجمة عن الرفض الداخلي والرغبة في فرض الذات كشخصية مستقلة أمام المجتمع كله، والصعوبات المتعلقة بأشكال التعبير الشفوي والكتابي قد

تجعل المتعلم يعيش صعوبات في النشاط التعليمي تأتي في مقدمتها تشتت الانتباه وغياب التركيز وعدم الصبر وعدم الارتياح إضافة إلى مشاعر القلق والتوتر والاضطراب.

لذلك فالقيم الإيمانية تجعل التلميذ يشعر بالاطمئنان النفسي لأنه يستمد قوته من الله، بل تمكنه من تقويم سلوكه وتهذيب نفسه، لأن الله مطلع على عمله عليم بما يجول في نفسه، ولا شك أن كل ذلك له أثره على سلوكه التعليمي، فتجده يراقب الله تعالى في كل حركاته وسكناته، فلا يعتدي على زملائه ولا على أساتذته ولا على الفضاء الذي يعيش فيه.

إن القيم الإيمانية هي محضن خصب لبناء الأمن النفسي لدى المتعلمين ولاشك أن ذلك سيعالج كثيرا من الإشكالات التي قد تهوي بهم إلى عالم العنف والاضطراب والخوف.

4. 1. 2. القيم الإيمانية في المنهاج الدراسي وأثرها في تعزيز الأمن التعليمي

المنهاج هو مجموعة منسجمة من المحتويات ووضعيات التعلم المشتغلة وفق نظام متدرج بشكل معين، ويشمل تعريف المجتمع المستهدف والغايات والأهداف والمحتويات ووصف نظام التقييم وتخطيط الأنشطة والآثار المتوقعة المرتبطة بتعديل مواقف وتصرفات الأفراد المستهدفين بالتكوين³⁵

ويقوم كل منهاج على فلسفة تربوية تنبثق عن فلسفة المجتمع وتصل بها اتصالاً وثيقاً، وتعمل المدرسة على خدمة المجتمع عن طريق صياغة مناهجها وطرق تدريسها في ضوء فلسفة التربية وفلسفة المجتمع معاً.

ونقصد بفلسفة المجتمع، ذلك الجانب من ثقافة المجتمع المتعلق بالمبادئ والأهداف والمعتقدات التي توجه نشاط كل فرد، وتمده بالقيم التي ينبغي أن يتخذها مرشداً لسلوكه في الحياة.

ولما كان القرآن هو دستور الأمة ومصدر حضارتها. فلاشك أن التخطيط للمناهج التربوية في ضوء المبادئ والأهداف التربوية الإيمانية سيحقق أمنا لجميع المتدخلين في العملية التعليمية، فمنظور القرآن الإيماني للتعلم يوازن بين قدوة المعلم ومحورية المتعلم، لذلك نجد طرق التدريس في المنهج الإسلامي لم تغال في الحرية المطلقة لإكساب القيم بعيدا عن ضبط الموقف التعليمي بل انطلقت من المتعلم وجعلته محورا للعملية التعليمية واهتمت بالطرق التطبيقية كالقدوة وتمثيل المواقف وحرمت كل ما يؤثر في الأخلاق.

إن القرآن الكريم يقدم نظرة شاملة عن الإنسان حيث يهتم بالجانب الجسدي والروحي والنفسي، لذلك فالمنهاج الدراسي يجب أن يهتم بكل مكونات الإنسان الجسمية والنفسية والعقلية والروحية وذلك لتكوين إنسان صالح يشعر بالأمن ويساهم في تحقيق الأمن المجتمعي.

وعليه فالمناهج الدراسي المنبثق من النظرة الإيمانية سبيل لتكوين جيل آمن على نفسه حريص على تأمين مؤسسته ومجتمعه.

4. 1. 3. القيم الإيمانية وأثرها في تعزيز أمن الفضاء المدرسي

إن فضاءات المدرسة هي المجال المحتضن لمختلف أنشطة الحياة المدرسية.³⁶ ويمكن تصنيفها كما يلي: فضاءات داخل المؤسسة ومنها: القاعات، ساحة المؤسسة، المرافق الرياضية، المرافق الإدارية، مركز التوثيق والإعلام، قاعة متعددة الاختصاصات، قاعة المداومة، قاعة الصلاة، المرافق الصحية، قاعة التمرير، فضاء الأندية التربوية، المطعم المدرسي، القسم الداخلي ومرافقه... فضاءات خارجية ومنها: فضاءات مختصة (مراكز للتربية والتوثيق والعرض ومتاحف)، مؤسسات تعليمية عمومية، وخصوصية، أوساط طبيعية، مكتبات عمومية، مسارح ودور الشباب ومعاهد موسيقية، متاحف ومعارض ثقافية، وفنية، منشآت اقتصادية (فلاحية، صناعية، تجارية، سياحية، أندية رياضية، مراكز ومعاهد تكوين)...

لذلك وسعياً إلى جعل المؤسسات التعليمية قطبا جذابا، وفضاء وظيفيا مريحا، يتيح لمكونات المجتمع المدرسي، من متعلمين وأطر تربوية وإدارية وشركاء المدرسة توظيف إمكاناتهم وقدراتهم في مجالات التنظيم والتأطير والتنشيط التربوي والثقافي والرياضي والاجتماعي...، يتعين إيلاء فضاءات هذه المؤسسات التربوية والتكوينية الأهمية المطلوبة، والعمل على استغلالها بشكل عقلاني

يتيح للأنشطة المتنوعة إيجاد المكان والزمان المناسبين، فالعمل على تدوين آيات قرآنية، وأحاديث نبوية شريفة، وأمثال تدعو إلى الأخلاق الفاضلة، والتشبث بالمواطنة وقيم التسامح والتضامن كفيل بتحقيق الأمن، كما أن الاهتمام بالمنظر العام لفضاءات المؤسسات التعليمية وتخصيص مراكز الإنصات، والمصحات المدرسية...، كفيل بتحقيق الأمن، ولذلك فالباعث الإيماني كفيل بتحقيق أمن الفضاء المدرسي، إذ مراقبة الله تمنع من الإتيان والتعطيل بل تمنع من كل مظاهر التي تعوق الدرس التعليمي، فالتعليم واجب شرعي يؤجر من حفظه ويأثم من أضربه.

من هنا نقول إن القيم الإيمانية كفيلة بتحقيق أمن الفضاءات المدرسية .

4. 2. القيم الإنسانية وأثرها في تحقيق الأمن التعليمي

يرتكز مفهوم الأمن الإنساني بالأساس على صون الكرامة البشرية وكرامة الإنسان بتلبية احتياجاته المعنوية بجانب احتياجاته المادية .فمفهوم الأمن بهذا المنظور ينطلق أساساً من حماية الإنسان بصفته إنساناً بغض النظر عن جنسه ودينه ولونه، لذلك فلا خلاف في أن القيم الإنسانية أساس لتحقيق الأمن التعليمي يمكن تفصيله على الشكل الآتي:

4. 2. 1. القيم الإنسانية ودورها في تحقيق أمن المتعلم والمعلم:

تتميز العلاقة (مدرس تلميذ) بطابع التقعيد ويعود ذلك إلى كونها تشكل مجموعة علاقات مختلفة في مضامينها ومظاهرها متباينة من حيث أهدافها، ومتداخلة فيما بينها. إنها أولا علاقات إنسانية لأن تحققها يستدعي حضور وتفاعل العنصر الإنساني مجسدا في المدرس والتلميذ .

إن العلاقة التربوية من حيث هي علاقة تعليم وتعلم، وكما يلاحظ جون كلود فيلو عبارة عن تعامل تفاعلي إنساني يتم بين أفراد يوجدون في وضعية جماعة. ولهذا فالمشاركة الفعلية للمدرس والتلاميذ في سيورة تعليمية تعليمية إنما تتم من منطلق كونهم ذواتا واقعية متميزة ومتميزة، فالتلميذ مرتبط بوسط عائلي ومحيط اجتماعي يشكلان ملامح شخصيته، ويمتلك بنية نفسية خاصة به وإرثا بيولوجيا وثقافيا خاصا ويكون لكل ذلك تأثير لا على طريقة تعلمه فحسب، بل على علاقاته بالمواد وبالمدرس وأقرانه وبصفة عامة على سلوكه وطريقة مشاركته وأسلوب انخراطه داخل المؤسسة،

والشيء نفسه بالنسبة للمدرس إذ تشير العديد من الأدبيات التربوية إلى أن الاختلافات بين المدرسين كالعمر والجنس والتجربة في التعليم وسمات الطبع والمزاج والتصورات عن الطفل تؤثر جميعها على أشكال التفاعلات ونوعية المناخ النفسي الاجتماعي داخل القسم.³⁷

لذلك فعلاقة التلميذ مدرس يجب أن علاقة قائمة على قيم الرفق والرحمة والشفقة والعدل والحرص على صلاح أخلاق التلاميذ، يقول بن خلدون في هذا الشأن: "ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين... سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الفساد وحمله على الكذب والخبث.. وعلمه المكر والخديعة"³⁸ من هذا المنطلق فالعلاقات الإنسانية في العملية التعليمية التعليمية كفيلة بتحقيق أمن المعلم والمتعلم، فيتحقق صون كرامتهما البشرية و تلبية احتياجاتهما المعنوية بجانب احتياجاتهما المادية.

4. 2. 2. القيم الإنسانية في المنهاج التربوي وأثره في تحقيق الأمن التعليمي :

إن الحديث عن الإنسانية في المنهاج الدراسي هو حديث عن إنسانية طرق ووسائل التدريس بل وأنشطة التعليم كذلك، فإذا كانت طرق التدريس إنسانية وأنشطة التدريس إنسانية وطرق التقويم إنسانية والوسائل إنسانية، فلا حديث عن الخوف والاضطراب واللاأمن، لذلك اعتقد أن استحضاره في صياغة البرامج والزمن المدرسي واختيار طرق التدريس كفيل بتحقيق الأمن التعليمي.

4. 2. 3. القيم الإنسانية وأثرها تحقيق أمن الفضاء التعليمي :

إن صون كرامة التلميذ والاعتراف بدوره ومشاركته في الأنشطة التعليمية التعليمية كفيل بحفظ مجموع

فضاءات المدرسة الداخلية والخارجية، ليصبح بعد ذلك الحفاظ على المؤسسة التعليمية مسؤولية جميع المتدخلين، يكرم من صانها ويعاقب من خانها، ولذلك فالبعد الإنساني قد يمتد إلى الفضاء التعليمي باعتباره حاضنة الأنشطة والمشارك الذي تشترك فيه جميع الأجيال المقبلة على التعلم، ولذلك نقول إن البعد الإنساني يجعل كل المشاركين في العملية التعليمية حريصين على الفضاء المدرسي، فلا يعتدون عليه بل يصبغون عليه صبغة الجمال والإبداع تكريماً لإنسانية الإنسان وحفظاً للمسؤولية الملقاة على عاتق كل المتدخلين في العملية التعليمية التعلمية.

4. 3. البعد الأخلاقي وأثره في تحقيق الأمن التعليمي

تعتبر الأخلاق ركيزة أساسية في التربية القرآنية، لذلك فالسؤال الذي نود الإجابة عنه هو: ما دور التربية الأخلاقية في تحقيق الأمن التعليمي؟

4. 3. 1. البعد الأخلاقي وأثره في تحقيق أمن المعلم والمتعلم

يعد القرآن الكريم أصل الأخلاق الإسلامية ومحضن التربية الفاضلة، لذلك فمن أدوار المعلم أن يعمل جاهداً لتنمية المفاهيم الأخلاقية لدى المتعلمين، والمتعلم يسعى جاهداً لاستمداد التربية من معلميه، فتتحقق التربية الأخلاقية سلوكاً عملياً في المجتمع المدرسي عموماً. إن الأخلاق الفاضلة التي يتربى عليها الناس في المدرسة تنص مما لا مجال للشك فيه على توقير الكبير المتمثل في المعلم واحترام الصغير المتمثل في المتعلم فتتحقق الرحمة وترسخ الحب، ولا شك أن كل ذلك سبيل للشعور بالأمن والطمأنينة. إن نشر الوعي بالتربية الأخلاقية هدفه تحقيق الأمن والطمأنينة، فلم يعد المعلم ناقل المعرفة وإنما تعدى ذلك لأن يكون مرب أخلاقي ومصلح اجتماعي ويتحقق ذلك بأمرين:

- عدم تحويل التربية الأخلاقية إلى تلقين.
- تمكين التلاميذ من الاكتشاف بالخبرة والمحاولة والخطأ ووصولهم إلى المفاهيم الأخلاقية بحرية واستقلال.

4. 3. 2. القيم الأخلاقية في المنهاج الدراسي وأثره في تحقيق الأمن التعليمي

تعرف التربية الأخلاقية بأنها التعليم الموجه نحو تقديم المعرفة والمهارات والاتجاهات اللازمة لاكتساب السلوك المقبول (السلوك الحسن)، فهي تعنى بتزويد النشء بالقيم الأخلاقية التي يريد المجتمع غرسها في أبنائه، كما تعنى بمعالجة السلوكيات المنحرفة ووقاية المجتمع من جرائم الأخلاق، وهذه من أهم وظائف المدرسة التي تسعى إلى تحقيقها من خلال المواد الدراسية والأنشطة والمعلم.

وتتنوع الأساليب التي تقدم من خلالها التربية الأخلاقية للطلاب، ومن أهمها: القدوة الحسنة، وأسلوب الحوار، والتربية عن طريق المشاركة والممارسة العملية، وعن طريق غرس الإيمان بالرحمة الإنسانية، ويعتبر تضمينها ضمن أهداف ومحتوى المنهج المدرسي من أكثر الأساليب فاعلية. فقد أثبتت نتائج

الدراسات التربوية الحديثة فاعلية التربية الأخلاقية في غرس الأخلاق والقيم المثالية في نفوس الطلاب، وتنمية القيم والأخلاق الإيجابية لديهم، كما أثبتت كذلك أن التربية الأخلاقية غير المباشرة والموجهة من خلال عدد من المناهج الدراسية والأنشطة التعليمية والعملية يكون أكثر قابلية لدى التلاميذ، كما أكدت على أهمية تضمين التربية الأخلاقية في المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم بشكل تكاملي بأسلوبه الأفقي والرأسي، والاهتمام كذلك بتضمين الأنشطة التربوية والعلمية التي تهدف إلى إكساب التلاميذ القيم الأخلاقية السامية، وتساعد في الحد من المشكلات والجرائم الأخلاقية التي يقعون فيها، وتزيد من استعدادهم للتعاون وتعميق احترام حقوق الآخرين في نفوسهم، مع مراعاة مستوى النمو الأخلاقي والبدني والنفسي للطلاب.

إن التربية الأخلاقية الإسلامية تمتلك المقومات العالمية والأهداف السامية التي بتضمينها وتطبيقها في مناهجنا ومدارسنا وممارساتنا اليومية تستقيم حياتنا وتسمو أخلاقنا وتقل المشكلات والجرائم الأخلاقية في مجتمعنا، وإذا أدرك المسؤولون عن التربية والتعليم والمعلمون والمعلمات القائمون بهذه الرسالة العظيمة ذلك وطبقوه في تربية وتعليم تلاميذنا حققت التربية الأخلاقية فاعليتها في وقائية المدرسة من المشاكل الأخلاقية، والرقى بها إلى أعلى المستويات في الأخلاق.

4. 3. 3. القيم الأخلاقية ودورها في تعزيز أمن الفضاء المدرسي :

إن الأخلاق الفاضلة هي رافعة أساسية لحماية الفضاء المدرسي من كل ما يضر به ، فالتربية على خلق الأمانة تجعل المتدخلين يحرصون كل الحرص على مؤسستهم، والتربية على الوفاء تجعل كل متدخل يفي بكل التزاماته اتجاه مدرسته، أما التربية على البذل فتجعل التلميذ يسعى جاهدا لتطوير فضاءات مؤسسته، إن التربية الأخلاقية هي القضية التي تنقص كثيرا من المتدخلين، فلا يراقبون الله في مؤسستهم فيعمدون إلى التكسير والتحطيم والعدوان، لذلك فالتربية الأخلاقية هي حامية للفضاء المدرسي وعاصمة له من كل ما يضر به.

4. 4. 4. القيم العمرانية وأثرها في تعزيز الأمن المدرسي

إن صلاح العملية التعليمية والشعور بالأمن التعليمي ينطق من تبني القيم العمرانية في كل مكون من مكوناتها وهذا ما سنحاول تفصيله:

4. 4. 1. القيم العمرانية وأثرها في تعزيز أمن المعلم والمتعلم :

هناك علاقة طردية بين التعليم والعمران البشري، فالتعليم ينمي العقل على تحصيل العلوم وينمي مواهب الإنسان وإبداعاته، والتعمير هو ترك بصمة الاستخلاف في الأرض بالخير والصلاح .

إن قضية التعمير قضية مركزية في العملية التربوية، إذ الغفلة عنها أدت إلى الاهتمام بأمور العبادات دون فقه الواقع والحياة، ولاشك أن ذلك كان له أثره على الواقع التعليمي.

إن استحضار مفاهيم التعمير في العملية التعليمية له أثر بارز في تكوين شخصية المتعلم الفاعلة، بل من تغيير دور المدرس المقتصر على التلقين وشحن الأذهان. فالتلميذ وفق هذه المقاربة يكون أكثر فاعلية، فهو تلميذ مبدع ينافح الاستبداد الفكري، ولا يرتضي التهميش والإقصاء، وهو مشارك في جميع الأنشطة التعليمية يعبر عن مواقفه ويتعلم من أخطائه. ولذلك فلا تكاد تجد تلميذا يحمل كل هذه الطاقات الإبداعية مصدرا للأمن المدرسي، أما المعلم فهو صاحب صنعة تعتبر شرطا أساسا لكل عمران بشري، فتعليم الناس الخير سيساهم في تكوين عقلي جمعي ووعي مجتمعي، وعليه فرسالة التعليم العمرانية تجعل المدرس يشتغل بسخاء إذ الاكتفاء بمهامه التدريسية لا غير كافية في تحقيق العمران المنشود.

إن تشبع كل من المعلم والمتعلم بمفاهيم العمران سيغير حتما العلاقة بينهما، من علاقة قهر واستبداد إلى علاقة احترام وحب وود، بل ومشاركة في تحصيل العلم والمعرفة، ولذلك فلا مكان للعنف في ظل وجود هذه المفاهيم، ولا مكان للاضطراب النفسي في ظل تشبع المعلم والمتعلم بضرورة التعمير، إنه فعلا الأمن والأمان والحب الوثام.

4. 4. 2. القيم العمرانية في المناهج الدراسية وأثرها في تعزيز الأمن التعليمي :

إن القيم العمرانية هي رافعة العمل والبذل والعطاء، وهي سبيل لتغيير العلاقة بين المدرس والتلميذ من علاقة سلبية إلى علاقة إيجابية فاعلة، ولمواكبة ذلك لابد أن تكون المناهج الدراسية حذو هذا التغيير، حيث يشترط فيها أن تصوغ برامج مواكبة للإبداع والتفكير، وتحين للزمن المدرسي بحسب طبيعة المادة والفئة المستهدفة ومراعاة لميولات التلاميذ وذكاءاتهم، ووسائل وطرق للتدريس تواكب قدراتهم .

إن تجديد المناهج وفق المقاربة التعميرية ستنتج الإبداع والتميز بل تنتج جيلا حريصا على وطنه وبيئته ومدرسته، فلا يعتدي عليها بألوان العنف والتحطيم بل يكرمها بشتى ألوان العناية والاحترام.

4. 4. 3. القيم العمرانية وأثرها في تعزيز أمن الفضاء المدرسي :

إن قيام المدرسة بمهامها التربوية ينطلق أساسا من وجود محضن صالح لأداء هذه المهمة، ولما كان التعمير قد يكون ماديا ومعنويا، فالمدرسة شاهد على التعمير المادي الذي يؤكد لا محالة حرص الإنسان على ترك بصمة العمران.

إن القيم العمرانية حصن حصين للفضاء المدرسي، فقضية التعمير قضية تعبدية يؤجر من حافظ عليها ويأثم من أضربها، ولذلك فالحفاظ على فضاء المدرسة بالتعمير والإحسان قضية تعبدية يؤجر من أمن بها

ويأثم من أضر بها .

5. خاتمة

ما أحوج المدرسة إلى الأمن والأمان حتى تقوم بأدوارها التربوية المنوط بها، فظهور العنف وكثير من مظاهر الاختلال التربوي له أسباب عديدة قد تتجاوز ما هو نفسي واجتماعي واقتصادي إلى ما هو سياسي واستراتيجي، وبالرغم من ذلك فلا بد من التفكير مليا عن طريق سهل عذب قد يورث الأمن ويدحض كل أشكال العنف والخوف والاضطراب، ولاشك أن أقربها إلى الفلاح والصلاح كتاب الله، فبالإضافة إلى أنه كتاب للتعبد فهو مصدر للتربية يستمد منه قيمة تربوية حاكمة قد تكون مجدية لتحصيل الأمن المفقود. لذلك جاء البحث ليكشف عن القيم الأربعة الحاكمة وهي: القيم الإيمانية والتي تجعل من الإيمان بالله أعظم مقوم في التربية، والقيم الإنسانية التي تركز مفهوم التكريم الذي خص به الإنسان من خلال قيم الاستخلاف والعلم والعمل، القيم الأخلاقية وهي الثمرة المباشرة للتربية القرآنية. ولا شك أن تكريس القيم الإيمانية والإنسانية والتربوية يؤول إلى قيم عمرانية ما أحوج المجتمع إليها في ظل صراع فكري يريد أن يبخر من هذه التربية.

ولما كانت القيم الأربعة هي الحاكمة في التربية القرآنية فإنها لا محالة سبيل لتحقيق الأمن التعليمي، فهي أصل لتحقيق أمن المعلم والمتعلم، وهي أساس في المنهاج التربوي، وهي مرتكز لتحصيل أمن الفضاء المدرسي.

إن القيم القرآنية الحاكمة قد تكون علاجا لكثير من الاختلالات والاعتلالات التي ابتليت بها المدرسة عموما من مظاهر العنف وعدم الاحترام وتحطيم وتكسير كل ما يمت بصلة للمدرسة؛ فما على المسؤولين وأرباب القرار إلا الانتباه إليها وتوعية المجتمع بها. والحمد لله رب العالمين .

6. المصادر والمراجع

■ القرآن الكريم برواية ورش.

- الماوردي، علي بن محمد (2004)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
- عمارة، محمد (1990)، الأمن الاجتماعي في الإسلام، دار الشروق، القاهرة.
- الأندلسي، أبو حيان (بدون تاريخ) البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت.
- غريب، عبد الكريم (2004)، بيداغوجيا الكفايات، ط5.
- الدريني، فتحي (1984)، الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3.
- القرضاوي، يوسف (2001) الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (2002)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار

طوق النجاة، ط1.

- عمر، أحمد عمر (2001)، فلسفة التربية في القرآن الكريم، دار المكتبي، دمشق.
- المنتار، محمد (2014)، علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية، مجلة التفاهم، العدد 43.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (بدون تاريخ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت.
- فيرستناو، بيتر (1981)، مساهمة في التحليل النفسي للمدرسة كمؤسسة، ترجمة: منى فياض، م الفكر العربي.
- العلواني، طه جابر (2002)، مقاصد الشريعة آفاق التجديد - حوار، دار الفكر، بيروت لبنان.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (2001)، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النفائس، الأردن، ط2.
- النجار، عبد المجيد (2006)، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.
- ابن خلون، عبد الرحمن (بدون تاريخ)، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عبود، عبد الغني (1979)، الملامح العامة للمجتمع الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة.
- غريب، عبد الكريم (2006)، المنهل التربوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى (2004)، الموافقات في أصول الشريعة؛ تحقيق: محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت.

7. الحواشي والإحالات:

- ¹ - مقاصد الشريعة آفاق التجديد حوار مع الدكتور طه جابر العلواني، ص 65-139.
- ² - لسان العرب، لابن منظور. 91/4.
- ³ - فلسفة التربية في القرآن الكريم، عمر أحمد عمر، ص 28.
- ⁴ - مفردات القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، مادة رب.
- ⁵ - الأمن الاجتماعي في الإسلام، محمد عمارة، ص 13.
- ⁶ - سورة قريش: الآية 43.
- ⁷ - سورة البقرة: الآية 126.
- ⁸ - سورة النحل: الآية 112.
- ⁹ - رواه الترمذي في سننه، 344/8، حديث رقم 2268.
- ¹⁰ - سورة البقرة، الآية 31.
- ¹¹ - المنهل التربوي، عبد الكريم غريب، 342/1.
- ¹² - سورة المؤمنون الآية 115.
- ¹³ - سورة الإسراء الآية 70.
- ¹⁴ - التحرير والتنوير، 164/15.
- ¹⁵ - الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، ص 57.
- ¹⁶ - الملامح العامة للمجتمع الإسلامي، د عبد الغني عبود 68/9.
- ¹⁷ - البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي 4/1.

- ¹⁸ الملامح العامة للمجتمع الإسلامي، د عبد الغني عبود ص 69.
- ¹⁹ مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص 87.
- ²⁰ مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور، ص 198.
- ²¹ مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور، ص 309.
- ²² سورة المؤمنون الآية 115.
- ²³ سورة الأحزاب الآية 72.
- ²⁴ الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده فتحي الدريني ص 78.
- ²⁵ صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم 1.
- ²⁶ الموافقات 606/2.
- ²⁷ الموافقات 615/2.
- ²⁸ مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، 348/3.
- ²⁹ فلسفة التربية في القرآن الكريم، ص 320.
- ³⁰ سورة، هود الآية 61.
- ³¹ علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية، محمد المنتار، مجلة التفاهم، عدد 43، ص 33.
- ³² نفسه ص 35.
- ³³ أدب الدنيا والدين، الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، ص 158.
- ³⁴ نفسه ص 132.
- ³⁵ بيداغوجيا الكفايات، عبد الكريم غريب، ص 196.
- ³⁶ دليل الحياة المدرسية مديرية الحياة المدرسية، دجنبر 2020.
- ³⁷ مساهمة في التحليل النفسي للمدرسة كمؤسسة، بيتر فيرستناو، ص 410.
- ³⁸ المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ص 540.